شبه الجزيرة العربية
في الخرائط المحفوظة بالأكاديمية

تشتمل خرائط شرق الجزيرة العربية المطبوعة والموجودة في المكتبة العلمية للأكاديمية الروسية على ٣٠٠ وحدة بما فيها الخرائط الحديثة والقديمة والأطالس . ومجموعة الخرائط والتصاميم والأطالس لشبه الجزيرة العربية مشوقة للغاية رغم أنها مجموعة متواضعة . والكتابات الخرائطية الروسية والأجنبية عن أقاليم شبه الجزيرة العربية والبلدان الواقعة فيها – أي العربية السعودية وعمان والإمارات العربية المتحدة والكويت وقطر والبحرين تم إعدادها في الفترة من وسط القرن السادس عشر إلى العصر الحديث . ونقدم في هذا التقرير ملاحظاتنا حول هذه المجموعة .

تعود الكتابات الخرائطية المبكرة عن شرق الجزيرة العربية إلى فترة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، حيث طبعت في كل من إيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا

وهي البلدان التي بلغت الصناعة الخرائطية فيها نمواً نشطاً في ذلك الوقت .

وقد تطورت المفاهيم الجغرافية والخرائطية عن شبه الجزيرة العربية في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر . وفي هذه الفترة تميزت عملية رسم الخرائط لشبه الجزيرة العربية بالدقة والواقعية أكثر من ذي قبل .

بقلم الدكتورة

أو. إيه. كراسنيكوفا

ـة الروسية



الوثيقة ١٣١

وكان القرن التاسع عشر جديراً بالانتباه لازدهار العلوم الطبيعية فيه . وبخصوص شبه الجزيرة العربية لم يكن النشاط مقصوراً على حملات علمية قام بها عدد من العلماء الأوربيين، بل بدأ المهتمون بالطبوجرافيا العسكرية من بلدان مختلفة بتنفيذ سياستهم الاستعمارية الهادفة إلى الاستيلاء على المناطق الغنية . واختلفت مواضيع الخرائط من حملات مختلفة إلى الخرائط الإدارية السياسية والجغرافية والتاريخية .

وأثناء الحرب العالمية الثانية، وضعت ألمانيا مخططات عديدة وأعدت الخرائط لاحتلال أقاليم شبه الجزيرة العربية . وقد شهد القرن العشرون عدة خرائط عن باطن الأرض والخرائط الجيولوجية والخرائط التكتونية (أي عملية التشوهات التي تغير شكل القشرة الأرضية محدثة القارات) المعمارية والخرائط عن المعادن .

وقبل أن ننظر في هذه الخرائط، نود أن نشير باختصار إلى المعلومات المتوافرة لدى العرب عن ترسيم الخرائط التقليدي كما ورد في الأدب الروسي والأوروبي . وتفيد المصادر الأدبية بأن المظهر الخارجي للخرائط العربية القديمة كان غير عادي . وكان أصلاً عبارة عن أشكال هندسية مكونة من خطوط مستقيمة ومحيطات للدائرة لوصف البحار . وقد أدى عدم الدقة في التمثيل الهندسي لمياه البحر إلى التفاوت في مساحات المياه ومساحات الأرض .

ووضع كل من الإيرانيين والسوريين وغيرهم نقوشاً عربية في الخرائط مما أدى إلى تداول اصطلاح "فن الخرائط العربي" لكنه لا يعبر عن الحقيقة تماماً . واقترح مؤرخ الخرائط العالمية الشهير (إل. باجروف) اسم "فن الخرائط الإسلامي" ليشمل إنتاج الخرائط في فترات مختلفة من الزمن . وقد قسّم الفترة الزمنية إلى ثلاث مراحل :

١ – المرحلة الأولى، وهي أقدم المراحل، حيث تأثر فن الخرائط بكل من بطلميوس والرحالة اليونانيين والنظريات التركيبية .

٢ – المرحلة المتوسطة، حيث سيطر عليها فن الخرائط الإسلامي فحسب .

٣ – المرحلة النورماندية العربية .

غير أن هذه المراحل متداخلة ولا يمكن فصل بعضها عن بعض بوضوح .

ولم تكن أقدم الخرائط إلا خططاً لرحلات خاصة أو خرائط للطرق المعدة لمهمات خاصة مثل الحملات الدبلوماسية للبلدان النائية أو الحملات العسكرية أو التجارية بالطرق البرية أو البحرية .

ويرجع تاريخ أقدم الخرائط الفلكية والجغرافية المعروفة إلى بداية القرن التاسع الميلادي . وكانت الكتابات الجغرافية آنئذ متنوعة ومنها كتب علمية وكتب للمراجعات وكتب مشوقة للقراء بصفة عامة .

وتتكون أقدم الخرائط عن شرق الجزيرة العربية المعدة في أوروبا الغربية، من حوالي ٤٠ وحدة . وتعطينا الفرصة لننظر إلى الأراضي العربية من منظور خرائط الغربيين . ومن رواد مصنفي وناشري الخرائط الدوليين آنئذ وكانوا (جاكومو جاستالدي – حوالي ١٥٠٠ –١٥٦٥م من البندقية) و (أبراهام أورتيلوس، ١٥٢٧–١٥٩٨م من هولندا) و (جان جانسونيوس ١٥٨٨–١٦٦٤م من هولندا) و فريدريك دي ويت ١٦١٠–١٦٩٨م من هولندا) و (جيرالد فالك – حوالي ١٦٥٠–١٧٢٦م من هولندا) و (بيتر شنك – ١٦٤٥–١٧١٥م) و (بيتر شنك الأصغر – حوالي ١٦٩٨–١٧٧٥م) و (جورج ماتاوس سوتر – ١٦٧٨–١٧٥٧م من النمسا) و هرمن مول، توفي في حوالي ١٧٣٢م، عالم الجغرافيا من أصل هولندي سكن إنجلترا) و (أسرة سانسون – حوالي القرن السابع عشر، من فرنسا) و (جيوم دي لانل – ١٦٧٥–١٧٢٦م من فرنسا) و (ريجو برت بون – ١٧٢٧–١٧٩٤م من فرنسا) والآخرون .

وعلى الرغم من أن الخرائط نشرت في أوقات وبلدان مختلفة، إلا أنه يمكن اكتشاف بعض الميزات المشتركة بينها .

وقد واجه الخرائطيون الأوروبيون مشاكل كثيرة عبر الـ ٥٠٠ عام الأخيرة في إعداد الخرائط للمساحات العربية بدقة وذلك بسبب الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية التي كانت منفصلة عن أقاليم آسيا الواسعة ووجدت فيها صحاري عديدة .

ولأسباب شتى ظلت شبه الجزيرة العربية منطقة مجهولة لمدة طويلة وصعبة المنال . ولم يكن في متناول يد المسافرين إلا معلومات محدودة ومقصورة على المناطق المحلية . وكان معظم الخرائط آنئذ تخيلياً .

وترجع أقدم المعلومات الأوروبية عن شرق الجزيرة العربية إلى ثلاثة مصادر حسب قول المؤرخ (جي آر تيبيتس) الذي نقله خبير الخرائط (إس ماكمين) وهو الذي جمعها .

المصدر الأول هو المقاييس والمشاهدات التي سجلها الملاحون الأوروبيون الذين أبحروا حول سواحل شبه الجزيرة العربية أو معظمها . وشكلت هذه المعلومات الأساس المتين لخرائط بطلميوس . واستخدمت فيما بعد في إعداد الخرائط للقوات البحرية . وكانت تلك الخرائط دقيقة وتضمنت معلومات كان يمكن الاعتماد عليها . غير أن مضمونها الطوبوجرافي لم يتجاوز الحدود الساحلية .

وكان المصدر الثاني، المعلومات التي وفرها السكان المحليون عن المنطقة المتوسطة للإقليم وحصل عليها بطلميوس من التجار اليونانيين الذين اتجروا مع القبائل المحلية . وبالطبع كان لهذه الطريقة بعض السلبيات نتجت عن بعض الأخطاء . كترسيم المدن في غير أماكنها الصحيحة ورسم أنهار من الخيال تصب في البحر الأحمر أو الخليج في الخرائط الأوروبية المبكرة . ولم تكن هذه الأنهار إلا مجار مؤقتة في مواسم الأمطار .

وكان المصدر الثالث هو نتائج الإجراءات الحسابية والقياسات التي قام بها الرحالة الأوروبيون .

إن إحدى أقدم الخرائط لشبه الجزيرة العربية التي أدخلها بطلميوس (١٥٤٠م) في مجموعته المنشورة، ترسم الخط الساحلي صحيحاً غير أن المناطق الداخلية تبدي سلسلة من الجبال وأنهاراً وهمية ويتكرر هذا الخطأ لعدة قرون . وأذكر على سبيل المثال خريطة لآسيا (١٥٤٨م) اكتشف فيها (دي جاستالدي) بحيرة كبيرة في شبه الجزيرة العربية بالإضافة إلى نظام كبير للأنهار . وتتابع تمثيل شبه الجزيرة العربية كأرض مروية حتى أواخر القرن السابع عشر في الخرائط الهولندية .

وبالإمكان أن نصف خرائط شبه الجزيرة العربية بوصف مشوق بصرف النظر عن الهيدروجرافيا خاصة فيما يتعلق بالخرائط المبكرة . ففي الزمن القديم كان شبه الجزيرة العربية مقسماً إلى ثلاث مناطق وفقا للأوضاع الجغرافية السائدة، وهي المنطقة الجبلية والمنطقة الصحراوية والمنطقة الخضراء العامرة الملائمة للسكن والري والزراعة .

وتم تحديد المناطق أحياناً بالخطوط المنقطة – وللعلم فإنه حتى بداية القرن العشرين لم ترسم أي حدود على خرائط الجزيرة العربية. سواء كانت حدوداً إدارية أو

رسمية . غير أن مثل هذه الحدود شوهدت في الخرائط الأوروبية حتى أواخر القرن الثامن عشر . وفي البداية احتلت المنطقة الجبلية في الخرائط سائر الجزء الشمالي للجزيرة لكنها فيما بعد تقدمت نحو سيناء . وينطبق نفس التعليق على المنطقة الصحراوية . وهي أحياناً تظهر في الجزء الشمالي لشبه الجزيرة العربية وأحياناً تقتصر على جزء صغير في شمالي الشرق . وكثيراً ما ظهرت هذه المناطق دون أي معلومات عنها . ويرجع السبب إلى فقدان المعلومات عن المنطقة الوسطى لشبه الجزيرة . وكان عدم توفر المعلومات الدقيقة السبب وراء عدم تواجد الخرائط المطبوعة عن شبه الجزيرة العربية حتى نهاية القرن السابع عشر ولم تظهر إلا ضمن الخرائط المرسومة لآسيا كلها أو أجزاء كبيرة منها .

ولم يتغير تخطيط شبه الجزيرة العربية لحوالي مائة سنة . وعلى سبيل المثال فإن خرائط آسيا هو المعدة من قِبَل (جي هونديوس) وابنه (اتش هونديوس) من الخرائطيين الهولنديين، المنشورة في نهاية القرن السادس عشر ومنتصف القرن السابع عشر نشرت دون أي تغيير في رسم الحدود لشبه الجزيرة العربية . وتم تقسيم الجزيرة إلى جزئين، المنطقة الصحراوية (في الوسط) والمنطقة الخضراء (في الجنوب) وفيه نفس الرسم للأنهار والبحيرات والمدن دون تغيير غير أن معظم آسيا شهد تغييرات كثيرة بسبب إدخال المعلومات الحديثة فيها .

وجدير بالذكر أن إطار خريطة (جيه هونديوس) في ثلاثة أضلاعه يرسم المناظر للسكان العرب (من المنظور الأوروبي) (شكل ١) . ونرى نفس التقسيم لشبه الجزيرة العربية في خريطة الإمبراطورية العثمانية التي أعدها (جيه جانسونيوس) أي المنطقة الصحراوية في الشمال والمنطقة الخضراء في الوسط دون ترسيم الحدود بينهما . وتظهر على الخريطة الأنهار الكبيرة والبحيرات والقرى الواقعة على الساحل والأسماء الجغرافية والمناطق التاريخية مثل عدن وجبل أيمن وهرمز .(شكل ٢)

أما أروع خريطة لتلك الفترة فهي خريطة أعدها راسم الخرائط (ف دي ويت) . (والخريطة الموجودة في المكتبة مطبوعة في لندن) . وربما استخدم المقياس الكبير للخريطة لتضمين تفاصيل جديدة مشـوقة فيها . فنجد فيها الجزيرة العربية مقسمة إلى أربع مناطق : أي شمالي غرب الجزيرة، وشمال شرق الجزيرة، والجزء الشرقي (بحريم) والجزء الكبير في وسط وجنوب الجزيرة (المنطقة الخضراء) . وتظهر في الخريطة الأسماء

الجغرافية وأسماء المناطق التاريخية . والمهم، ظهرت سلسلة من الجبال لأول مرة موازية للسواحل الغربية والجنوبية في حين ظهرت الجبال في الخرائط القديمة كسلسلة متواصلة في وسط الجزيرة . لكن الأمر الأكثر تشويقاً في هذه الخريطة هو ظهور طريقين يؤديان إلى مكة لأول مرة بشكل خطين أحدهما عبر الساحل الغربي من الشمال والثاني من البصرة عبر وسط الجزيرة (شكل ٣) وهكذا في أواخر القرن السابع عشر كانت عند الأوروبيين فكرة سليمة إلى حد ما عن المنطقة العربية ويرجع السبب في ذلك إلى وصول معلومات جديدة عن طريق الحجاج الذين سافروا عبر الجزيرة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وفي خرائط الجزيرة العربية التي رسمت في القرن الثامن عشر نجد بعض المعلومات الجديدة وهي أكثر دقة . غير أن طباعة الخرائط القديمة لم تتوقف . وعلى سبيل المثال نشر (بي شنك) خريطة جميلة مزخرفة لآسيا مهداة لملك ساكسونيا في ألمانيا (فريدريك أغسطس) وفيها قسمت الجزيرة العربية إلى ثلاث مناطق وفيها أنهار وبحيرات كبيرة . وكان مقياس الخريطة كبيراً ليستوعب تفاصيل جديدة . وفي نفس العام نشر (ن سانسون) خريطة لشبه الجزيرة العربية وفيها قسمت إلى ثلاث مناطق غير أنها تتضمن أنهارا وبحيرات كبيرة .

أما الخريطة الأكثر غرابة فقد نشرت في بداية القرن التاسع عشر لراسم الخرائط الإنجليزي من مواليد هولندا (هرمن مول) وكان أول من رسم الخريطة وأطلق عليها اسماً قصيراً بسيطاً (عرابيا) . ولم يظهر فيها التقسيم التقليدي للجزيرة العربية أي الجبال والصحراء والمنطقة الزراعية ولا توجد أنهار في السواحل الشرقية والغربية وإنما فيها رسم طبيعي للتضاريس في وسط الجزيرة . وكذلك تقسيم الأقاليم بخطوط منقوطة (كالبحرين ومهري وسطى وشهر وحضرموت وخلفات . .الخ . .) . وبالنسبة للأجزاء الأخرى لم يتم رسم حدودها بالخطوط المنقوطة (كالحجاز وتهامة وعمان) (شكل ٤) . ويوجد رسم فريد لشبه الجزيرة العربية في خريطة آسيا للراسم (إتش مول) في "خريطة العالم" . وإضافة إلى المعلومات التقليدية، أي تقسيم الجزيرة العربية إلى العربية الصخرية والعربية الصحراوية والعربية السعيدة، تضمنت الخريطة أسماء المناطق التاريخية والمستوطنات مما جعلها متميزة بالمقارنة إلى الخرائط الأخرى . ويظهر الطريق من البصرة إلى مكة في وسط المنطقة الصحراوية في الوسط بشكل خط يربط الآبار بالإضافة إلى معلومات مفيدة بالقرب

من كل بئر مثل "شاه حفر – بئر لماء عذب" و "آبار ماء عسر" و "عند هذه البئر يخلع حجاج مكة ثيابهم" (شكل ٤) . وظهرت بعض المعلومات الجغرافية أيضاً في الخريطة مثل : "جبل العارض أو الجبال الكبرى" وقد جاء في عنوان الخريطة التفسير التالي : "وفقاً لأحدث وأدق الأرصاد". وحصل (إتش مول) على معلومات حديثة دقيقة من الحجاج وأدخلها في خريطته .

وفي خرائط العالم الفرنسي في الجغرافيا وفن الخرائط (جي دي إيل) التي نشرتها الشركة الهولندية (جي كوفنز أند سي مورتير) نجد بعض الميزات الجديدة فلا توجد فيها أنهار أو بحيرات كبيرة، وتظهر فيها مستوطنات عديدة في السواحل الغربية والجنوبية بانتظام موضحاً درب الحجاج والمسافرين . وتظهر الجبال موازية للساحل الغربي بطريقة المنظور . وتقسيم الجزيرة إلى ثلاث مناطق جاء بدقة أكثر بواسطة الخطوط المنقوطة . وكتبت "المنطقة الجبلية" على شبه جزيرة سيناء وضمت المنطقة الصحراوية كل المنطقة الوسطى (البحرين وعمان ومسقط) ونراها في تلك الخرائط كما نرى اليمن كمثلث صغير في جنوبي غرب الجزيرة . ودون شك كان ذلك نتيجة الحصول على معلومات جديدة عن الأوضاع الجغرافية السائدة في المنطقة . غير أنها تبدي نهراً غريباً في الساحل الشرقي للجزيرة . وحسبما ورد في الرسم، ينشأ النهر من الخليج ويصب فيه مما يجعل جزءاً من منطقة شبه الجزيرة يشبه جزيرة (شكل ٥) . والواضح أنه خطأ مبني على معلومات خاطئة واردة من أوروبا .

وعلى العموم ذكرت معلومات جديدة مع عنوان الخريطة (كما يظهر في خريطة آسيا لراسمها جي دي آنيل) . وكثيراً ما قام المسيحيون بالتبشير في الأماكن البعيدة فضلاً عن الحجاج وكانت لديهم معلومات جديدة . وتضمنت خرائط آسيا وأفريقيا لعالم الجغرافيا ورسم الخرائط من نورمبرج (آي بي هومان) معلومات دقيقة عن أقاليم كل من آسيا وأفريقيا . غير أنها تضمنت أخطاء كثيرة عن شبه الجزيرة العربية حيث ظهرت فيها سلسلة من الجبال في سائر المنطقة الوسطى وأنهار أكثر عدداً مما كان في الخرائط القديمة . (وظهر نهر غريب ناشئ من الخليج ويصب فيه) . وفي إحدى هذه الخرائط احتلت المنطقة الخضراء مساحة شبه الجزيرة كلها كأنها ملائمة للعمران في جميع أجزائها . وكانت المستوطنات منتشرة في كل مكان بصورة منتظمة .

وقدمت خريطة العالم الفرنسي (ريجو برت بون) وهو مهندس هيدروجرافيا في البحرية الفرنسية شبه الجزيرة العربية بدقة أكثر . وظهرت فيها سلسلة من الجبال على السواحل الغربية والجنوبية، وكذلك مستوطنات في جهتي الغرب والشرق . والمنطقة الصحراوية منقولة إلى فلسطين، ومنطقة الصحراء عبر مساحة واسعة في شمالي الشرق . ونرى لأول مرة في الجزء الغربي للجزيرة أنهاراً جافة دون مصبات . مثل وادي عسير ...الخ .

ويمكن القول إنه في نهاية القرن التاسع عشر ظهرت في الخرائط الأوروبية المنطقة العربية بدقة أكبر رغم أنها اشتملت على بعض المعالم الوهمية . وطبعت خريطة الجزيرة العربية في كثير من الأطالس مما يدل على اهتمام الناس المتزايد بالمنطقة العربية . وتشير مقتنيات المكتبة من الخرائط إلى الملامح الرئيسية لتطوير المفاهيم الأوروبية عن البلدان العربية الشرقية .

إن المفاهيم الخرائطية عن الجزيرة العربية لدى روسيا تقوم على ما وصل إليها من أوروبا . وظهرت لأول مرة في خريطة آسيا نشرها (ف – كبريانوف) في بداية القرن السابع عشر في موسكو . (الجدول المفصل المنشور في المطبعة المدنية في موسكو لفاسيلي كبريانوف على أساس خرائط أمستردام) ، وكان أساسه خريطة هولندية لآسيا مع ذكر الأسماء الجغرافية وأسماء المستوطنات باللغة الروسية . وظهرت الجزيرة العربية فيها مقسمة إلى منطقتين، أي المنطقة الصحراوية والمنطقة الخصبة وفيها أنهار وبحيرات ومستوطنات . واحتلت التضاريس كافة أقاليم شبه الجزيرة العربية . وهذا يعني أنهم اختاروا خريطة قديمة جداً لإصدارها باللغة الروسية . أي "رسم شبه الجزيرة العربية في خريطة آسيا لـ (بيكارت)" . وبيكارت راسم الخرائط الهولندي الذي كان يعمل في روسيا في بداية القرن الثامن عشر . وظهرت مدن كثيرة في الجزيرة العربية، وأنهار تنبع من بحيرات كبيرة . وكانت الجبال منتشرة في كل مكان . ورسمت الحدود بخطوط منقوطة بين الشمال والجنوب . وسمي القسم الجنوبي العربية الخضراء وكانت أسماء المناطق التاريخية أسماء تقريبية صعبة الفهم (مثل حيما وأرمين وعدن رجن وجوبلمان والبنعلي ... الخ . ومن الصعب أن نحدد بالضبط الخريطة التي اعتمد عليها (بيكارت) في رسمه للجزيرة العربية . وربما أدخل البيانات من خياله .

ومن المحتمل أن الرسم الروسي لشبه الجزيرة العربية وتحديد الأسماء الجغرافية والإدارية واجه صعوبة بسبب عدم وجود المطبوعات والخرائط والمفاهيم .

وفي القرن الثامن عشر بدأت تتضح المعلومات الجغرافية عن الجزيرة العربية بدقة أكثر . وبدأ نشرها في أطالس الجغرافيا العالمية المطبوعة في روسيا . (أطلس لاستخدام ومنفعة الشباب وقراء السجلات والكتب التاريخية) .

ونشرت خريطة في سان بطرسبرج في ١٩٧٣م بعنوان "الأطلس الجديد أو مجموعة الخرائط لكافة أنحاء العالم لاستخدام الشباب" وفيها ظهرت شبه الجزيرة العربية في صفحة كاملة بعنوان "خريطة الجزيرة العربية وفيها المناطق الصخرية والصحراوية والزراعية" وفي إعادة طبعها استخدموا أحسن وأحدث النماذج وتطابقت مع خريطة (آر بون) (شكل ٦) .

والكتب التاريخية التي نشرت في روسيا في القرن السابع عشر تضمنت الخرائط بما فيها خرائط الجزيرة العربية . ونشرت خريطة بعنوان "الجزيرة العربية الصخرية والصحراوية في أطلس للمدارس عن التاريخ القديم" وفيها الجزء الشمالي فقط للجزيرة العربية مقسماً إلى الجزء الصخري غربا والجزء الصحراوي شرقا .

وبعد أربعين عاما نشرت خريطة بنفس العنوان وأدخلت في كتاب بعنوان "التاريخ القديم للمصريين والقرطاجنيين والأشوريين والبابليين واليونانيين" ونشره (مستر رولين) من الترجمة الفرنسية لـ (في كيه ترदياكوفسكي) في ١٠ مجلدات مع الخرائط في سان بطرسبرج، في ١٧٤٩-١٧٦٢م . وكان راسم الخرائط هو العالم الجغرافي الفرنسي الشهير (جين بابتيست دانفيل) وهو عضو فخري في أكاديمية العلوم وخبير في التاريخ القديم .

لقد سبق رسم خرائط شبه الجزيرة العربية بمقياس صغير في القرن الثامن عشر قبل مسح الخرائط العلمية والطوبوغرافية . وتعرضت كل من أفريقيا وآسيا في القرن الثامن عشر للحملات الأوروبية العلمية والاستعمارية . وقام الفاتحون المثقفون بمسح الأراضي وتحليل جوف الأرض وإعداد الخرائط .

وترجع الخرائط الجغرافية العامة التي أعدها العلماء الألمان في الطبيعة إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر . ومنها خريطة رسمت في "معهد وانمار" لكنها لا ترسم الجزيرة العربية بثلاثة أجزاء بل ترسم لأول مرة حدود البلدان كالحجاز واليمن

وحضرموت وعمان والاحساء وعسير . وفي وسط الجزيرة نرى (رسم الحدود المقصورة بشكل سحابة) (شكل ٧) . كما أن هناك طرق عديدة مرسومة بخطوط منقوطة مع ذكر اتجاهاتها . ولأول مرة نجد شرحاً للرموز المستخدمة للمستوطنات والقلاع والخرابات والعناقيد والطرق ..الخ . وبالحروف اللاتينية كالجبل والبرج والوادي .. الخ . ورسمت الجبال بالتظليل وليس بالرسم المنظوري .

وقدمت مجموعة من الخرائط من مقياس كبير لشبه الجزيرة العربية للقراء الأوروبيين تكملة لكتب العالم الألماني الشهير (كارل ريتر) — "دي أركندي" و "لاند كيبنج" وفي إحداها نرى الجزء الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة . وقد تمكن المقياس الكبير للخريطة من إبراز التفاصيل مثل الأنهار والقرى وحتى الواحات بدقة تامة . وداخل إطار الخريطة ورد ذكر الأسماء الجغرافية والرؤوس والجزر مع الإحداثيات . وفيها ذكر اليمن وحضرموت إضافة إلى الطرق التي اتبعتها ست عشرة حملة إلى هذه المنطقة في أزمان مختلفة . ومن المشوق أن نصادف نقوشاً في الجزء الشرقي لحضرموت تقول "أرض مجهولة في عام ١٨٤٣م" . ونرى خريطة ملحقة وفيها ضواحي مكة .

ورسمت الجزيرة العربية في خريطة من مقتنيات المكتبة وفيها أقاليم البلدان الواقعة في جنوب غربي آسيا والجزيرة العربية وشمالي شرق أفريقيا . ويرجع تاريخها إلى نفس الفترة (شكل ٨) . وراسم الخريطة هو عالم إنجليزي شهير في رسم الخرائط اسمه (جيمس وايلد الأصغر) الملقب بالجغرافي لدى الملكة والأمير ألبرت . وهنا نرى المناطق المألوفة أي الصخرية والصحراوية والزراعية ولكن دون رسم الحدود بينها سواء كانت إدارية أو غيرها . وورد ذكر المستوطنات والجبال ومعلومات مفيدة أخرى . وأذكر على سبيل المثال طريقاً على الساحل الغربي فيه نقش يقول : " طريق القوافل من مكة إلى دمشق" وسلسلة من الجبال موازية للساحل الجنوبي . (مهرا — سهل رملي يمتد عرضاً من الساحل إلى بداية المنطقة الجبلية) . وربما كان الغرض منها مساعدة الملاحين في هذه المنطقة . وتثبته جداول تشير إلى :

١ — الطريق البري إلى الهند — مسافات .

٢ — الخليج العربي واتجاهات وقوة الرياح طوال السنة . وعلى سبيل المثال : من أبريل إلى يوليو الرياح الشمالية الغربية الخفيفة .

٣ — الرحلة نهاراً عن طريق البحر الأحمر ومنه إلى نهر النيل .

٤ — اتجاهات الرياح الموسمية - من شمالي الغرب — من أكتوبر إلى أبريل — من بين شمالي شرق مدغشقر والساحل الغربي لهولندا الجديدة . ونرى كذلك لأول مرة أنهاراً مائلة إلى الجفاف وأنهاراً تجف قبل الوصول إلى الساحل . وكل ذلك يدل على توافر المعلومات الوافية عن الأوضاع الجغرافية السائدة في المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية .

ويعود تاريخ الخرائط الجيولوجية لمناطق شبه الجزيرة العربية إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وله ارتباط مع الأبحاث وعمليات المسح التي قام بها علماء الطوبوغرافيا العسكريون الإنجليز . وهكذا فإن الأطلس الذي نشر في بومباي في عام ١٨٥٧م والمرتبط بالأبحاث الجيولوجية عن غرب الهند والساحل الجنوبي الغربي للجزيرة العربية يتناول البنية الجيولوجية للساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية وغرب الهند .

وقد ظهر رسم الجزيرة العربية في روسيا في القرن التاسع عشر في أطالس المدارس والكتب التاريخية . وعلى سبيل المثال في أطلس باسم "خريطة البلدان الإسلامية والخلافة في ذروة قوتها ومجدها" نشر في منتصف القرن التاسع عشر .ونشر (جي فلاسوف) في تبليسي في عام ١٨٧٥م خريطة باسم "خريطة لأقدم المستوطنات حسب ما ورد في كتابات كل من راولنسون ولينورمان" وتتضمن الخريطة مواقع القبائل القديمة والطرق التجارية وطرق الهجرة وأسماء المناطق التاريخية .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهرت في روسيا بعض الخرائط لشبه الجزيرة العربية أو أجزاء منها ونشرتها شركة خاصة للخرائط في سان بطرسبرج باسم (اليكسي ألين) ومنها خريطة باسم "الخريطة الجديدة لأفريقيا والجزيرة العربية" أعدها البارون (ن — كاولبارس) في عام ١٨٩٣م وهو عضو دائم بالجمعية الجغرافية الروسية . وكذلك نشرت خريطة في سان بطرسبرج في عام ١٩٠٠م تحت عنوان "تركيا الآسيوية والجزيرة العربية وأقاليم آسيا الوسطى" .

وخريطة (كاولبارس) يجدر الاهتمام بها . (شكل ٩) ومقياسها كبير (١:٦٣٠,٠٠٠) وتغطي ٦ صفحات . وتتضمن تفاصيل كثيرة منها المستوطنات والطرق والارتفاعات

والحدود الإدارية والأنهار (بما فيها الأنهار على وشك الجفاف) والتضاريس والصحاري مع ذكر أسمائها الجغرافية . وكذلك بعض المعلومات الجغرافية مثل السهول المرتفعة والصخور وحتى ساحل القراصنة . وتظهر فيها المقاطعات الخاضعة للبلدان الأوروبية بألوان مختلفة . وأعدت الخريطة على أساس معلومات دقيقة متواجـدة في كتب الجغرافيا . وفيها لأول مرة أسماء الأماكن باللغة الروسية . ونشرت فيما بعد خريطة موجزة باسم "تركيا الآسيوية وإيران والجزيرة العربية وأقاليم آسيا الوسطى الأخرى" وهي أصلاً تشبه خريطة (كاولبارس) لكن دون نفس الكمية من التفاصيل .

وقد شكلت نتائج المسح العسكري الطوبوغرافي الدعم بالمعلومات المستمدة من المصادر الخارجية بما فيها الأعمال الخرائطية أساساً لإعداد الخرائط المفصلة عن شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة في شمال أفريقيا . وعلى سبيل المثال نشرت خريطة في سان بطرسبرج باسم "خريطة طوبوغرافية ملخصة للشرق الأوسط" مكونة من صفحات للسنوات من ١٨٩٧ إلى ١٩١٣م . ومن ثم نشرت خريطة روسية في موسكو في بداية القرن العشرين بعنوان " خريطة تركيا والبلقان وفلسطين والجزيرة العربية" .

وقد ظهر الوضع المعماري في جزء من الجزيرة العربية لأول مرة في خريطة تكتونية (أي عملية التشوهات التي تغير شكل القشرة الأرضية محدثة القارات والجبال) للبلقان وآسيا الصغرى أعدت لأغراض المؤتمر الدولي الجيولوجي الذي عقد في فيينا في عام ١٩٠٣م وليس فيها إلا الجزء الشمالي الغربي للجزيرة العربية . وفي وقت لاحق قام الفرع العسكري للخدمات الجغرافية الفرنسية بنشر مجموعة من الخرائط بين عامي ١٩٣٤ ١٩٣٨م عن أفريقيا وكانت صفحة منها عن شبه الجزيرة العربية . وفيها معلومات عن المستوطنات والطرق والأنهار والسكك الحديدية والحدود الإدارية والأنهار التي على وشك الجفاف بأسمائها ..الخ . ولأول مرة تظهر التضاريس بألوان مختلفة حسب ارتفاعاتها .

وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥م) وضعت ألمانيا النازية خططاً لاحتلال عدة بلدان . ولتحقيق هذا الغرض أعدت معلومات خرائطية مفصلة عن المناطق الآسيوية . ومن مقتنيات مكتبتنا خرائط طوبوغرافية مفصلة عن مكة والمدينة . وتظهر في الخريطتين في الركن الشمالي إلى اليمين ملاحظة تقول : "طباعة خاصة (١١) — ١٩٤١م

— للاستخدام الرسمي فقط" وفي رسم بياني لمكة والمدينة نرى التفاصيل كالمسجد والشوارع والخرائب والمجاري والينابيع والأحواض والسلالم ومركز الشرطة والثكنات العسكرية والمباني العامة والخاصة والمدارس والمخازن والورش والمساجد والمقدسات الدينية وفيها قلعة ذات ممر سري إلى قصر الشريف . وكذلك فيها قصور للأمير وأقربائه وسوق للخبز والفواكه ومركز لبيع الجمال والخراف والرقيق .

ومن بين الخرائط التي أعدت بعد الحرب العالمية الثانية عن الجزيرة العربية خريطة باسم "أشكال أرض الجزيرة العربية" (شكل ١٠) وتم إعدادها في معهد الأبحاث الجغرافية في جامعة هارفارد ونشرتها كمبردج في عام ١٩٥١م . ونرى في هذه الخريطة المستوطنات والتضاريس والأسماء الجغرافية والمناطق التاريخية والأنهار ..الخ . وفي داخل الخريطة توجد خرائط إضافية تكميلية منها التقاسيم السياسية والمناطق الجيولوجية من الغرب إلى الشرق في شبه الجزيرة . وتتضمن القائمة التفسيرية للمصطلحات المستخدمة في الخريطة، المواقع المجسمة أو البارزة والصخور الجبلية كالتلال الرملية والأشجار وقيعان الأنهار الجافة ومقذوفات البراكين والواحات ..الخ . وأيضاً مصادر المعلومات التي تبنى عليها الخريطة مثل : "تبنى الخريطة أساساً على إسقاط ثلاثي الأبعاد من الصور الملتقطة من الطائرات والرحلات الجوية الاستطلاعية . ورسمت الطرق والأنهار . .الخ حسب أسلوب الخرائط الجوية وتقدمت شركة أرامكو بالخرائط والمشورة لحد كبير . كما تمت مراجعة تقارير الرحالة" . وفيها قاموس صغير عربي إنجليزي توجد فيه كلمات مثل "أبو وبلد والاحساء وسمان وصخر ..الخ" ويجدر بنا أن نشير إلى أنها المرة الأولى التي ينشر فيها قاموس صغير للمصطلحات العربية المترجمة إلى لغات أوروبية (من مقتنيات المكتبة) .

ونشرت خريطة في عام ١٩٥٠م لأقاليم أفريقيا والجزيرة العربية من قِبَل دائرة الخرائط للجمعية الجغرافية الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية .

وكانت تلك الخريطة، خريطة سياسية إدارية على غرار المجلة الوطنية الجغرافية حيث رسمت فيها المستعمرات الأوروبية بألوان مختلفة . وعلى العموم كانت هذه الخريطة مشابهة للخرائط الأخرى تظهر فيها الحدود والتقاسيم الإدارية والمدن والقرى والطرق وسكك الحديد ورسمت التضاريس بالرسم المنظوري .

ونشرت خريطة لشبه الجزيرة العربية في عام ١٩٥٠م في الولايات المتحدة الأمريكية في واشنطون من قِبل دائرة الجيولوجيا والمصادر النفطية . وأصبحت تلك الخريطة أساساً لنشر خريطة جيولوجية مفصلة لشبه الجزيرة العربية نشرت في عام ١٩٦٣م . وجدير بالذكر فإن إعدادها تم تحت إشراف كل من دائرة المسح الجيولوجي الأمريكي وأرامكو .

أما خريطة الجزيرة العربية الأكثر تفصيلاً من مقتنيات المكتبة فهي خريطة باسم "شبه الجزيرة العربية" . ويسمح المقياس الكبير للخريطة بتضمين تفاصيل كثيرة . ويتضمن جدول رموز الخريطة ٢٥ رمزاً . وتشير الرموز إلى كل من المستوطنات من ثلاثة أقسام والطرق الرئيسية من ٤ أنواع، وسكك الحديد وسكك الحديد المهجورة والمحطات والخرابات والمطارات وأنابيب الماء ومراكز التزود بالماء في الصحراء، وآبار النفط ومحطات شحن النفط ومحطات الضخ ومصانع التكرير والصخور المرجانية ومقذوفات البراكين والحدود الدولية وكذلك قاموس جغرافياً عربياً إنجليزياً يضم أكثر من ٤٠ كلمة . وفي الخريطة توجد معلومات مفصلة عن مصادر المعلومات المستخدمة في إعدادها . وعلى سبيل المثال : "المعدة في عام ١٩٥٧م من مجموعة من المكالمات والصور الجوية والجولات الاستطلاعية على الأرض . وفي حالة عدم توافر الصور تم اللجوء إلى خرائط الطيران العالمية لدائرة الحرب البريطانية من مقياس ١:١,٠٠٠,٠٠٠ و ١:٢٥٠,٠٠٠ ونتائج الجولات الاستطلاعية على الأرض والارتفاعات المذكورة في غرب الجزيرة العربية ليست إلا نتيجة تدوين مقياس الارتفاع دون المراقبة . والخطوط التي تفيد أعماق البحر ورموز

الصخور مبنية على البيانات المتواجدة في مكتب الهيدروغرافيا الأمريكي والأميرالية البريطانية . والحدود المرسومة على وجه التقريب . والأسماء الجغرافية المرسومة تطابق الأسماء المتداولة في يناير ١٩٥٨م وترجع الفروق البسيطة المتواجدة بين الأسماء المذكورة في هذه الخريطة والخريطة بمقياس ٥٠٠,٠٠٠ :١ لنفس المساحة، إلى تحديث المعلومات" .

والخرائط عن الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية (اليمن حاليا) التي رسمها (هرمن فون ويسمان) اعتمدت على البيانات المعدة من قبل حملات الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية في عامي ١٩٣١م و ١٩٣٩م، ولم تنشر إلا بعد الحرب في ١٩٥٨م . وتوجد في فهرس الرموز، الإشارة إلى المدن والقرى والخرابات والأضرحة والمقابر والطرق ومسارات الحملات المتبعة والمهابط والحدود والقبائل والأقاليم والأنهار الجافة والجداول المائية . وكذلك يوجد قاموس عربي إنجليزي صغير يحتوي على ٦٠ كلمة مثل : العين ونجد والخريف وحوض ماء الأمطار . .الخ . والخرائط التي اعتمدت على المعلومات المأخوذة من الحملات والجولات الاستكشافية والصور الجوية موثقة ويمكن الاعتماد عليها . والبيانات الواردة من عمليات المسح التي قام بها (ويسمان) مدعمة بالتفاصيل المتواجدة في خرائط (أو إتش ليتل) لعام ١٩٢٥م خرائط (سانت جي بي فيلبي) لعام ١٩٣٦م، وخرائط (إف هيبروك) لعام ١٩٥٠م والرحالة الآخرون . وتشمل أيضاً بعض المعلومات الواردة في خريطة (جي إس جي إس رقم ٣٩٩٧) وخريطة شركة النفط العراقية المبنية على الصور الجوية، وخريطة الاستكشافات الجوية للرائد (بيلربي) لعام ١٩٤٧م، وبعض المعلومات التي تضمنتها الصور الجوية والتي تقدمت بها مديرية المساحات عبر البحار .

وقد عمل علماء الجيولوجيا والمهندسون من الاتحاد السوفييتي في شبه الجزيرة العربية منذ السبعينات .

وكذلك عملت شركة الجيولوجيا الخارجية في الثمانينات من القرن العشرين وتم جمع المعلومات التي نشرت بشكل الخرائط الجيولوجية والمعمارية للموارد المعدنية لجنوبي غرب الجزيرة العربية .

وهكذا ، لمدة طويلة ، أي منتصف القرن العشرين تم عرض المفاهيم المرئية عن شبه الجزيرة العربية في كل من أوروبا وروسيا بشكل الخرائط المطبوعة على يد الباحثين والأخصائيين السوفييت .

وتتوافر الخرائط التي رسمت فيها بلدان شبه الجزيرة العربية : وهي كل من العربية السعودية وعمان والإمارات العربية المتحدة واليمن وأقاليمها في مقتنيات المكتبة . وللأسف لا توجد فيها خرائط لكل من قطر والكويت والبحرين . وإن نشر الخرائط عن الدول المستقلة مرتبط بنيل الاستقلال وكذلك بتحديد حدودها ومساحاتها . غير أنه في البداية ، تم إعداد خرائط الدول المستقلة بمساعدة المتخصصين الأجانب وكثيراً ما طبعت في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية .

وتوجد في المكتبة بعض الخرائط عن المملكة العربية السعودية (التي أصبحت دولة مستقلة في عام ١٩٢٦م) بشكل أطلس مع فهرس للمراجعة . ومنها الخرائط الطبوغرافية والجيولوجية التي أعدت بمساعدة كل من دائرة المسح الجيولوجي الأمريكية وشركة أرامكو .

وتمثل خريطة جيولوجية سلطنة عمان (التي أصبحت مستقلة في ١٩٧٠م) وتم إعدادها أيضاً بمساعدة من الخبراء الأجانب .

وتظهر الإمارات العربية المتحدة الفيدرالية (شكلت في ديسمبر ١٩٧١م) في خريطة جغرافية عامة وفيها تصاميم المدن الرئيسية .

ولابد أن نذكر أن عدداً من الخرائط عن شبه الجزيرة العربية التي أعدت في السنوات الأخيرة وصل إلى المكتبة .(ربما باستثناء الخرائط التي نشرت في أوروبا) وأحدثها وصل إلى قسم الخرائط الخاص في التسعينات من القرن العشرين .

وختاماً يمكن لنا أن نقول بأن مجموعة الخرائط عن شبه الجزيرة العربية التي هي من مقتنيات المكتبة الروسية، ترجع إلى فترات زمنية وهي من مقاييس مختلفة وتعالج مواضيع مختلفة . ونظراً إلى أنها تشير إلى الاتجاهات والميول السائدة في المنطقة العربية في فترات مختلفة من الزمن فيمكن دراسة العمران وتشكيل الدول في هذه المنطقة عن طريق دراسة هذه المجموعة .

د. أو. إيه. كراسنيكوفا — بطرسبرج

مديرة قسم الخرائط بجامعة بطرسبرج